Comprehensive Journal of Science
Volume (10), Issue (38), (Dec, 2025)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (10) العدد 38 ديسمبر 2025
ردمد: 3014-6266

التطور الفني للزخارف المعمارية في واجهات المباني الإسلامية بليبيا من العهد العثماني حتى بدايات القرن العشرين

عبد الناصر خليل أمراجع محمد
قسم الآثار الإسلامية
كلية السياحة و الآثار جامعة عمر المختار

ياسمين محمد حسين سليمان
قسم الآثار الإسلامية
كلية السياحة و الآثار جامعة عمر المختار

تاريخ الاستلام:2025/12/7 –تاريخ المراجعة: 2025/12/11– تاريخ القبول: 2025/12/18– تاريخ للنشر : 2025 /12/24

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل التطور الفني للزخارف المعمارية في واجهات المباني الإسلامية بليبيا خلال الحقبة الممتدة من الفتح العثماني عام 1551م حتى بدايات القرن العشرين. اعتمدت الدراسة منهجاً تحليلياً مقارناً لرصد الخصائص الزخرفية في مدينتي طرابلس وغدامس باعتبارهما نموذجين يمثلان التأثير العثماني من جهة، والهوية المحلية من جهة أخرى. أظهرت نتائج البحث تميز الزخارف الليبية بمزيج يجمع بين الأنماط العثمانية في طرابلس والطابع الصحراوي المحلي في غدامس، مع اعتماد واسع للجص المحفور والزخارف الهندسية والنباتية والخطية. كما بينت الدراسة أن التحولات السياسية والاجتماعية والدينية – خصوصاً خلال حكم الأسرة القرمانلية – أثرت بوضوح في أنماط الزخرفة وتقنيات تنفيذها. اختتمت الدراسة بتوصيات تدعو إلى توثيق الواجهات التاريخية باستخدام التقنيات الرقمية، وإنشاء قاعدة بيانات وطنية للزخارف الليبية، وتعزيز برامج الترميم المتخصصة بما يسهم في حفظ هذا الإرث المعماري الفريد.

الكلمات المفتاحية :الزخارف المعمارية؛ العمارة الإسلامية ؛العهد العثماني؛ طرابلس؛ غدامس.

Abstract

This study examines the artistic development of architectural decorations on the façades of Islamic buildings in Libya from the Ottoman conquest in 1551 to the early twentieth century. A comparative analytical approach was applied to investigate decorative characteristics in Tripoli and Ghadames, representing two distinct models: Ottoman-influenced coastal architecture and locally rooted desert architecture. The findings reveal that Libyan architectural decoration is distinguished by a synthesis of Ottoman stylistic elements in Tripoli and simplified geometric and gypsum-based motifs in Ghadames. The study also demonstrates that political, social, and religious transformations—particularly during the Karamanli period—played a significant role in shaping decorative techniques and stylistic preferences. The research concludes with recommendations emphasizing the necessity of digitally documenting historic façades, establishing a national database for Libyan architectural ornamentation, and supporting specialized restoration programs aimed at preserving this unique cultural and architectural heritage.

Keywords : Architectural Ornamentation؛Islamic Architecture؛Ottoman Period؛Tripoli ؛Ghadames.

أولاً: الإطار العام للدراسة

1. المقدمة

يعد الفن الزخرفي المعماري من أهم سمات العمارة الإسلامية عامةً، إذ تستخدم الأشكال الهندسية والنباتية والكتابية لزخرفة الجدران والأقواس والقباب، ما يعكس عمق الهوية الحضارية والنسيج الثقافي للمجتمع. وفي ليبيا نشأت تراكيب زخرفية محلية ضمن هذا التراث الأوسع؛ فقد اكتست المباني الليبية بأنواع متنوعة من الزخارف الإسلامية (نباتية وهندسية) خلال العهد العثماني، مما يدل على تبني المعماري المسلم لهذه الأنماط الإسلامية بالطابع العثماني وموائمتها للعادات المحلية .تعكس هذه الزخارف أبعاداً علمية وجمالية، فهي ليست زخارف عشوائية بل تحمل دلالات تربوية وتعليمية موجهة نحو الدين والعقيدة الإسلامية (ابلاعو ،2019). وقد أسهم تأثير البيئة الليبية بمكوناتها المناخية والاجتماعية في تشكيل خصائص زخرفية ذات طابع محلي واضح، انعكس على أسلوب معالجة الواجهات وتنظيم العناصر الزخرفية فيها. وتمثل هذه الدراسة إطاراً علمياً مهماً في ميدان العمارة الإسلامية بشمال إفريقيا، من خلال تحليل أنماط الزخارف وتفسير دلالاتها الجمالية والثقافية داخل السياق الليبي.

2. أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في سعيها إلى سد فجوة بحثية واضحة في توثيق خصوصية الزخارف المعمارية الليبية. فبالرغم من القيمة التاريخية والثقافية لهذا التراث، فإن عدد الدراسات المتخصصة فيه يظل ضئيلاً مقارنة بدول مجاورة. فعلى سبيل المثال، حظيت بعض المدن الليبية بدراسات استقصائية محدودة، وفي الغالب كانت أبحاثاً أكاديمية جامعية أو أطروحات ماجستير محلية. وحتى مع اعتراف اليونسكو بأهمية تراث بعض المواقع الليبية – مثل تسجيل مدينة غدامس القديمة موقعاً تراثياً عالمياً عام 1986 – يظل التركيز على الزخارف المعمارية قليل الوجود. ولذا تأتي هذه الدراسة لتعزيز المعرفة في هذا المجال وتوثيق نماذج زخرفية يصعب العثور على دراسات تفصيلية عنها. إن غياب مثل هذا الدراسة يجعل من الضروري الإضاءة على الأنماط الزخرفية الليبية والمحافظة عليها ضمن الأدب العلمي، مما يكشف ندرة الدراسات السابقة ويبرر السعي لإجراء هذه الدراسة بحد ذاتها.

3. الفترة الزمنية المدروسة وآثار التحولات السياسية

تغطي الدراسة الفترة الممتدة من بداية الحكم العثماني في طرابلس (1551م) مروراً بالعهد الذاتي لسلالة القرمانلي (1711–1835م) وصولاً إلى بدايات القرن العشرين قبل الاحتلال الإيطالي (1911م). شهدت هذه الحقبة تحولات سياسية مهمة أثرت في العمارة المحلية. ففي العهد القرمانلي كونت طرابلس إمارة مستقلة نسبياً ضمن إطار تونس، وقد اهتم حكامها ببناء مساجد وزوايا تميزت بزخارف معمارية خاصة. ثم أعاد العثمانيون فرض سيطرتهم المباشرة بعد عام 1835م. ومع دخول الإيطاليين طرابلس عام 1911م سعى المحتل إلى نشر طابع معماري غربي، لكنه واجه مقاومة السكان التلقائية التي تجسدت في رفض اعتماد الأساليب الفنية الإيطالية الجديدة (الأميري، 2000). وقد انعكست كل هذه التغيرات على الواجهات المعمارية؛ فمثلاً حافظ المعماريون الليبيون على بعض الأساليب التقليدية في الزخارف رغم ضغوط التحديث، كما يظهر من تلك المباني التي لا تزال تحتوي نقوشاً إسلامية أو عناصراً نباتية هندسية متوارثة.

4. التبرير العلمي لاختيار طرابلس وغدامس كنموذجين

- **طرابلس:** العاصمة وأكبر مدن الغرب الليبي، تضم تركيزاً غنياً من المعالم الإسلامية العثمانية والقرمانلية. تضم المدينة القديمة عدة مساجد وقصور وأسوار تاريخية تحوي زخارف معمارية بارزة. على سبيل المثال، يعتبر جامع أحمد باشا القرملي (1737م) أحد أجمل مساجد طرابلس القديمة لما يحمله من منقوشات وزخارف معمارية متميزة . اختيار طرابلس يتيح دراسة الواجهات المعمارية في مركز حضاري مهم شهد مستويات مختلفة من الحكم الإسلامي، ما يوفر عمقاً تاريخياً وتمثيلاً لمدارس زخرفية متعددة.
- **غدامس:** واحة فريدة تقع في جنوب غرب ليبيا، وهي تمثل نموذجاً نادراً للمدينة الإسلامية التقليدية المسقوفة. سجلتها اليونسكو عام 1986 ضمن مواقع التراث العالمي، ومدينة غدامس تحتفظ بطراز معماري محلي يصعب إيجاد مثيل له خارج حدودها (أمين، 2023). من خصائصها الفريدة اختفاء الفناء الداخلي المركزي والاكتفاء بالأسطح كمساحات معمارية محورية، بالإضافة إلى التنسيق الخاص لمضامين زخارفها.

إن مقارنة طرابلس، التي تعكس الطابع العثماني الرسمي بما يتضمنه من عناصر زخرفية ، مع غدامس التي تحتفظ بملامحها الزخرفية الصحراوية المحلية، تكشف بوضوح الخصوصية الفنية لكل منهما، الأمر الذي يجعل المدينتين معاً نموذجاً تكاملياً لفهم المشهد الزخرفي الليبي في شموليته.

5. مساهمة الدراسة في توثيق وفهم الخصوصية الزخرفية

- **توثيق الإرث المعماري:** تسهم الدراسة في حفظ وتوثيق عناصر الزخرفة المعمارية في المعالم الليبية القديمة. فعلى سبيل المثال، يوفر مسجد أحمد باشا القرملي نموذجاً غنياً بالنقوش المعمارية ، ودراسة زخارفه تسهم في حفظ هذه التفاصيل بصفتها جزءاً من التاريخ المعماري للمدينة.
- **إبراز الخصائص المحلية:** من خلال التحقيق بنماذج غدامس (على سبيل المثال)، تظهر الدراسة خصائص زخرفية فريدة من نوعها، ففضلاً عن التصميم البنائي العمودي غير المألوف فهي تتفرد بشكلٍ ومضمونٍ خاصين في زخارفها .هذا الفهم المتعمق لأسلوب الزخرفة المحلي يساعد على تمييز التراث الليبي عن عمارة المناطق الأخرى.
- **تعزيز المعرفة البحثية والهوية الثقافية:** بإثراء الأدبيات حول العمارة الإسلامية في ليبيا وتقديم تحليل معمق للزخارف على الواجهات، تدعم الدراسة جهداً علمياً لتعزيز الهوية المعمارية الليبية. كما أنها توفر مادة بحثية توجيهية للباحثين القادمين وتغني المناهج التعليمية بنماذج محلية أصيلة. وفي هذا السياق، فإن إبراز هذه الخصوصيات الزخرفية يسهم في جهود الحفاظ على التراث المعماري وجعله جزءاً من المكتبة الأكاديمية الوطنية.

ثانياً: الخلفية التاريخية والسياسية

1. الفتح العثماني لليبيا (1551)

بدأت السيطرة العثمانية على ليبيا في عام 1551 عندما قاد القائد العثماني سنان باشا حملة عسكرية ناجحة ضد فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يسيطرون على طرابلس منذ عام 1530. جاء هذا الفتح في إطار توسع الدولة العثمانية في شمال إفريقيا لتعزيز نفوذها في البحر المتوسط ومواجهة القوى الأوروبية المتزايدة. أصبحت طرابلس بعد الفتح ولاية عثمانية، وأدرجت ضمن النظام الإداري للدولة العثمانية، حيث تم تعيين باشا عثماني لإدارة شؤونها (زروقي، 2025).

كان للفتح العثماني تأثير كبير على العمارة والفنون في ليبيا، حيث جلب العثمانيون معهم تقنيات بناء جديدة وأساليب زخرفية مستوحاة من العمارة العثمانية في الأناضول. ومن أبرز هذه التأثيرات:

- **القباب والمآذن:** أدخل العثمانيون القباب الكبيرة والمآذن الرشيقة التي أصبحت سمة مميزة للمساجد في طرابلس.
- **الزخارف الهندسية والنباتية:** ظهرت الزخارف الهندسية والنباتية بشكل واضح في المساجد والزوايا، مما يعكس التأثير العثماني (الدوماني، 2013).

2. حكم الأسرة القرمانلية (1711–1835)

في عام 1711، استقل أحمد القرمانلي بحكم طرابلس وأسس سلالة القرمانلي التي حكمت ليبيا لمدة تزيد عن قرن. جاء هذا الاستقلال النسبي نتيجة ضعف السيطرة المركزية العثمانية في تلك الفترة، مما أتاح للقرمانليين إدارة شؤون البلاد بشكل شبه مستقل مع دفع الجزية السنوية للسلطان العثماني (ربعي، 2022).

تميزت فترة حكم القرمانلي بتطور ملحوظ في العمارة والفنون، حيث شهدت طرابلس وغدامس ازدهاراً في بناء المساجد والزوايا والأسواق. ومن أبرز ملامح هذه الفترة:

- **الزخارف المحلية المتأثرة بالعوامل العثمانية:** امتزجت الأنماط العثمانية مع التأثيرات المحلية، مما أضفى طابعاً فريداً على العمارة الليبية (الدوماني، 2013).
- **الزوايا الصوفية:** ازدهرت الزوايا الصوفية خلال هذه الفترة، حيث كانت مراكز دينية وتعليمية، وزينت بزخارف تعكس الطابع الروحي والديني (كامل، 2003).
- **الأسواق والخانات:** بنيت العديد من الأسواق والخانات التي زينت بزخارف هندسية ونباتية، مما يعكس ازدهار النشاط التجاري في تلك الفترة (الفضالي، 2014).

3. الظروف السياسية والاجتماعية والدينية وتأثيرها على الفن المعماري

كانت الظروف السياسية والاجتماعية والدينية خلال العهدين العثماني والقرمانلي ذات تأثير كبير على تطور الفن المعماري والزخارف في ليبيا. يمكن تلخيص هذه التأثيرات في النقاط التالية:

أ. الظروف السياسية

- **الاستقرار النسبي:** أدى الاستقرار النسبي خلال فترات معينة من الحكم العثماني والقرمانلي إلى ازدهار النشاط العمراني، حيث شيدت العديد من المباني العامة والدينية (الفضالي، 2014).
- **التأثيرات الخارجية:** نتيجة لارتباط ليبيا بالدولة العثمانية، تأثرت العمارة الليبية بالأنماط العثمانية، مثل استخدام القباب والمآذن الرشيقة والزخارف الهندسية (البلوشي، 2007).
- **التوسع التجاري:** ساهم النشاط التجاري في بناء الأسواق والخانات، التي كانت تزين بزخارف تعكس الطابع الثقافي والتجاري للمنطقة (التير، 2024).

ب. الظروف الاجتماعية

- **التنوع الثقافي:** كانت ليبيا ملتقى للعديد من الثقافات، بما في ذلك العربية، البربرية، والعثمانية. انعكس هذا التنوع في الزخارف المعمارية، حيث امتزجت الأنماط العثمانية مع التأثيرات المحلية (المبروك ومادي، 2009).

- **الدور الاجتماعي للمساجد والزوايا:** كانت المساجد والزوايا مراكز اجتماعية ودينية، مما جعلها محوراً للاهتمام الفني والمعماري. زينت هذه المباني بزخارف تعكس القيم الدينية والاجتماعية (بشينة وكريم، 2023).

ج. الظروف الدينية

- **انتشار التصوف:** كان للتصوف دور كبير في تشكيل العمارة الدينية في ليبيا، حيث ازدهرت الزوايا الصوفية التي زينت بزخارف تعكس الطابع الروحي (سليمان والنويجي، 2024).
- **الرمزية الدينية:** استخدمت الزخارف الهندسية والنباتية كرموز دينية تعبر عن التوحيد والتناغم، مما يعكس القيم الإسلامية (عبد الدايم، 2022).

4 . تأثير هذه الظروف على الفن المعماري والزخارف

انعكست هذه الظروف السياسية والاجتماعية والدينية على الفن المعماري والزخارف في ليبيا بعدة طرق:

- **الزخارف الهندسية والنباتية:** أصبحت الزخارف الهندسية والنباتية السمة المميزة للعمارة الإسلامية في ليبيا، حيث استخدمت لتزيين المساجد والزوايا والأسواق (سليمان والنويجي، 2024).
- **التقنيات والمواد:** استخدمت تقنيات البناء العثمانية، مثل استخدام الجبس والحجر المحلي، مما أضفى طابعاً فريداً على العمارة الليبية (بن جمعة، 2023).
- **التأثيرات المحلية:** امتزجت الأنماط العثمانية مع التأثيرات المحلية، مما أدى إلى ظهور طراز معماري فريد يعكس الهوية الثقافية لليبيا (المبروك ومادي، 2009).

ثالثاً: الخصائص الفنية والزخرفية: تحليل أنواع الزخارف وتقنيات التنفيذ

تعد الزخارف المعمارية الإسلامية في ليبيا من أبرز المظاهر التي تعكس الهوية الثقافية والفنية للمنطقة، حيث تميزت بتنوعها وثرائها الفني. وقد لعبت الزخارف دوراً هاماً في تزيين المباني الدينية والمدنية، مثل المساجد والزوايا والأسواق والخانات. في هذا المحور، سيتم تحليل الأنواع المختلفة للزخارف الإسلامية في ليبيا (الهندسية، النباتية، الخطية) مع التركيز على تقنيات التنفيذ والمواد المستخدمة مثل الحجر، الجبس، البلاط، والخشب.

1. أنواع الزخارف في العمارة الإسلامية الليبية

أ. الزخارف الهندسية

تعد الزخارف الهندسية من أبرز السمات التي تميز العمارة الإسلامية في ليبيا، حيث تعتمد على تكرار الأشكال الهندسية مثل المربعات، الدوائر، والمثلثات لتكوين أنماط معقدة ومتداخلة. ومن أبرز خصائصها:

- **التكرار والتناظر** :تعتمد الزخارف الهندسية على التكرار والتناظر لإبراز الجمال والتناغم، وهو ما يعكس القيم الإسلامية مثل الوحدة والتوازن (المبروك ومادي، 2009).
- **التداخل والتشابك** :تظهر الزخارف الهندسية في ليبيا براعة في التداخل بين الأشكال المختلفة، مما يخلق أنماطاً بصرية مبهرة.

- **الأمثلة الميدانية** :يمكن رؤية هذه الزخارف في العديد من المساجد والزوايا في طرابلس، مثل مسجد أحمد باشا القرمانلي، حيث تزين الجدران والأسقف بأنماط هندسية متقنة (بن جمعة، 2023).

ب. الزخارف النباتية

تستخدم الزخارف النباتية بشكل واسع في العمارة الإسلامية الليبية، حيث تعتمد على تصوير أوراق الأشجار، الأزهار، والأغصان بأسلوب تجريدي. ومن أبرز خصائصها:

- **الرمزية** :تعكس الزخارف النباتية القيم الروحية والدينية، حيث ترمز إلى الجنة والخير (حواس، 2019).
- **التجريد** :يتم تصوير العناصر النباتية بأسلوب تجريدي بعيد عن الواقعية، مما يعكس الطابع الإسلامي الذي يركز على الرمزية بدلاً من التشخيص.
- **الأمثلة الميدانية** : تظهر الزخارف النباتية بشكل واضح في الزوايا الصوفية، مثل زاويــة عبد السلام الأسمر في زليتن، حيث تزين الجدران والأسقف بزخارف نباتية متداخلة (عماري، 2022).

ج. الزخارف الخطية

تعد الزخارف الخطية من أهم عناصر الزخرفة الإسلامية، حيث تعتمد على استخدام الخط العربي لتزيين المباني. ومن أبرز خصائصها:

- **الآيات القرآنية** :تستخدم الآيات القرآنية بشكل واسع في تزيين المساجد والزوايا، مما يعكس الطابع الديني للعمارة الإسلامية (خبيزي، 2023).
- **تنوع الخطوط** :تشمل الزخارف الخطية في ليبيا استخدام أنواع مختلفة من الخطوط، مثل الخط الكوفي وخط النسخ، مما يضفي تنوعاً وجمالاً على الزخارف.
- **الأمثلة الميدانية** :يمكن رؤية الزخارف الخطية في مسجد الناقة بطرابلس، حيث تزين الآيات القرآنية جدران المسجد بأسلوب فني متقن (سميو، 2023).

2. تقنيات التنفيذ والمواد المستخدمة

أ. الحجر

- **الاستخدام** :يعد الحجر من المواد الأساسية المستخدمة في تنفيذ الزخارف المعمارية في ليبيا، خاصة في المباني الدينية والمدنية.
- **الخصائص** :يتميز الحجر بمتانته وقدرته على تحمل الظروف المناخية، مما يجعله مادة مثالية لتزيين الواجهات الخارجية.
- **الأمثلة الميدانية** :تظهر الزخارف الحجرية في العديد من المباني التاريخية في طرابلس، مثل القلاع والأسواق (ابن نافع، 2007).

ب. الجبس

- **الاستخدام** :يستخدم الجبس بشكل واسع في تزيين الأسقف والجدران الداخلية، حيث يتم تشكيله بأسلوب دقيق لإنتاج أنماط زخرفية معقدة.
- **الخصائص** :يتميز الجبس بسهولة تشكيله، مما يتيح للفنانين إنتاج زخارف دقيقة ومتنوعة.
- **الأمثلة الميدانية** :تظهر الزخارف الجبسية في الزوايا الصوفية، مثل زاوية سيدي الشعاب في طرابلس (الزروق، 2020).

ج. البلاط

- **الاستخدام** :يستخدم البلاط المزخرف (القيشاني) في تزيين الجدران والأرضيات، خاصة في المساجد.
- **الخصائص** :يتميز البلاط بألوانه الزاهية وأنماطه المتنوعة، مما يضفي جمالًا على المباني.
- **الأمثلة الميدانية** :يمكن رؤية البلاط المزخرف في مسجد أحمد باشا القرمانلي، حيث تزين الجدران بأنماط هندسية ونباتية (الكيلاني وآخرون، 2021).

د. الخشب

- **الاستخدام** :يستخدم الخشب في تزيين الأبواب والنوافذ والأسقف، حيث يتم نحته بأسلوب دقيق لإنتاج زخارف معقدة.
- **الخصائص** :يتميز الخشب بسهولة نحته وتشكيله، مما يتيح إنتاج أنماط زخرفية متنوعة.
- **الأمثلة الميدانية** :تظهر الزخارف الخشبية في الأبواب والنوافذ التقليدية في غدامس، حيث تعكس الطابع المحلي للمدينة (مرزوق، 2016).

3. التحليل الفني للزخارف

- **التناغم البصري** :تتميز الزخارف الإسلامية في ليبيا بالتناغم البصري الذي يتحقق من خلال التكرار والتناظر.
- **التنوع الفني** :يظهر التنوع الفني في استخدام أنواع مختلفة من الزخارف (هندسية، نباتية، خطية) وتقنيات متعددة (حجر، جبس، بلاط، خشب).
- **الرمزية** :تحمل الزخارف دلالات رمزية تعكس القيم الإسلامية مثل التوحيد والتناغم.

رابعاً: نماذج ميدانية وتحليلها: دراسات حالة تبرز تراكيب زخرفية في مساجد وزوايا طرابلس وغدامس

تعد طرابلس وغدامس من أبرز المدن الليبية التي تحتضن معالم معمارية إسلامية غنية بالزخارف الفنية. تتميز هذه المعالم بتنوعها الزخرفي الذي يعكس التأثيرات العثمانية والمحلية، مما يجعلها نماذج مثالية لدراسة تطور الفن المعماري الإسلامي في ليبيا. في هذا المحور، سيتم تحليل نماذج ميدانية مختارة من المساجد والزوايا في طرابلس وغدامس، مع مقارنة بين هذه المعالم لتوضيح الاتجاهات الفنية التي تميز كل مدينة.

1. مسجد أحمد باشا القرمانلي (طرابلس)

أ. الخلفية التاريخية

بني مسجد أحمد باشا القرمانلي في عام 1738 خلال فترة حكم الأسرة القرمانلية، ويعد من أبرز المعالم الإسلامية في طرابلس. يعكس المسجد التأثير العثماني الواضح في تصميمه وزخارفه، مع لمسات محلية أضافت طابعاً فريداً (الكيلاني وآخرون، 2021).

ب. التحليل الزخرفي

- **الزخارف الهندسية** :تزين الزخارف الهندسية جدران المسجد وأسقفه، حيث تظهر أنماط متكررة من المربعات والمثلثات المتداخلة.
- **الزخارف النباتية** :تستخدم الزخارف النباتية بشكل واسع في تزيين المحراب والمنبر، حيث تظهر أوراق الأشجار والأزهار بأسلوب تجريدي.
- **الزخارف الخطية** :تزين الآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفي والنسخ جدران المسجد، مما يضفي طابعاً دينياً وروحياً على المكان.

ج. المواد والتقنيات

- **الحجر** :استخدم الحجر الجيري المحلي في بناء المسجد، مما يعكس الطابع المحلي.
- **الجبس** :استخدم الجبس في تشكيل الزخارف الداخلية، حيث أُبدعت أنماط دقيقة ومتداخلة.
- **البلاط المزخرف** :زينت بعض أجزاء المسجد بالبلاط المزخرف (القيشاني) الذي يعكس التأثير العثماني (الكيلاني وآخرون، 2021).

2.الزاوية القادرية بطرابلس

أ. الخلفية التاريخية

تقع الزاوية القادرية في المدينة القديمة بطرابلس مقابل جامع الناقة، وتعد أحد مراكز الطريقة القادرية الصوفية في النسيج الديني للمدينة.خدمت الزاوية عبر قرون كمقر للحلقات الصوفية والتعليم الديني والذكر، وباتت جزءاً ذا قيمة تاريخية وثقافية في البنية العمرانية والدينية لطرابلس(كامل، 2003).

ب. التحليل الزخرفي

- **الزخارف الهندسية:** تتسم واجهة الزاوية القادرية بتكرار أشكال هندسية بسيطة مثل المضلعات والنجوم، موضوعة ضمن شبكة متناسقة على الأبواب والنوافذ، مما يعكس الطابع التقليدي للزخارف العثمانية في طرابلس.

- **الزخارف النباتية:** تظهر بعض العناصر النباتية المجردة على الإطارات الخشبية للنوافذ والأبواب، مثل أوراق العنب والأغصان المتشابكة، بأسلوب متوازن يدمج الجمال الطبيعي مع الهندسة المعمارية.
- **الزخارف الخطية:** تقتصر على استخدام الكتابات العربية البسيطة على بعض الأبواب الداخلية والجص، غالباً آيات قصيرة أو عبارات تذكارية، دون زخارف نصية معقدة، مما يعكس الطابع التوجيهي والوظيفي للزاوية ضمن البيئة الدينية.

ج. المواد والتقنيات

- **الجبس:** استخدم الجبس في تزيين العقود والأبواب الداخلية وبعض النوافذ، حيث نحتت عليه الزخارف الهندسية والنباتية البسيطة، بما يتيح إبراز التفاصيل الدقيقة مع الحفاظ على خفة الوزن وسهولة التشكيل.
- **الخشب:** استخدم الخشب في النوافذ والأبواب والمشربيات، ونفذ عليه نقش نباتي وخطي محدود، ما يجمع بين الوظيفة العملية والزخرفة الجمالية، وفق الأسلوب المعماري الطرابلسي التقليدي (الفار، 2024).

3. مسجد غدامس الكبير (غدامس)

أ. الخلفية التاريخية

يعد مسجد غدامس الكبير من أبرز المعالم الإسلامية في مدينة غدامس، ويتميز بطابعه المحلي الذي يعكس البيئة الصحراوية. بني المسجد في القرن السابع عشر، وشهد تطورات معمارية وزخرفية على مر العصور (بهنس وحامد، 1989).

ب. التحليل الزخرفي

- **الزخارف الهندسية** :تظهر الزخارف الهندسية في تصميم الجدران والأسقف، حيث تستخدم الأنماط المتكررة لإبراز التناغم.
- **الزخارف النباتية** :تستخدم الزخارف النباتية بشكل محدود، حيث تركز على تصوير أوراق الأشجار بأسلوب بسيط.
- **الزخارف الخطية** :تزين الآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفي جدران المسجد، مما يعكس الطابع الديني للمكان.

ج. المواد والتقنيات

- **الحجر** :استخدم الحجر المحلي في بناء المسجد، مما يعكس الطابع المحلي.
- **الجبس** :استخدم الجبس في تشكيل الزخارف الداخلية، حيث أبدعت أنماط بسيطة تعكس الطابع المحلي.
- **الخشب** :استخدم الخشب في تزيين الأبواب والنوافذ، حيث نحتت الزخارف بأسلوب بسيط يعكس البيئة المحلية (بهنس وحامد، 1989).

4. مقارنة بين طرابلس وغدامس

العنصر	طرابلس	غدامس
الطابع العام	تأثر واضح بالأنماط العثمانية مع لمسات محلية	طابع محلي يعكس البيئة الصحراوية
الزخارف الهندسية	أنماط معقدة ومتداخلة تعكس التأثير العثماني	أنماط بسيطة تعكس الطابع المحلي
الزخارف النباتية	زخارف نباتية متقنة تستخدم بشكل واسع	زخارف نباتية محدودة وبسيطة
الزخارف الخطية	استخدام واسع للخط الكوفي والنسخ في تزيين المساجد والزوايا	استخدام محدود للخط الكوفي بأسلوب بسيط
المواد المستخدمة	الحجر، الجبس، البلاط المزخرف، والخشب	الحجر المحلي، الجبس، والخشب

5. تطور الأساليب الزخرفية

- **طرابلس** :تظهر العمارة الإسلامية في طرابلس تأثراً كبيراً بالأنماط العثمانية، مع استخدام واسع للزخارف الهندسية والنباتية والخطية. تعكس هذه الزخارف الطابع الحضري للمدينة وتأثيرها كمركز إداري وتجاري خلال العهد العثماني.
- **غدامس** :تتميز العمارة الإسلامية في غدامس بطابعها المحلي الذي يعكس البيئة الصحراوية. تظهر الزخارف البساطة والتكيف مع الموارد المحلية، مما يعكس الطابع الريفي للمدينة.

خامساً : العوامل المؤثرة في تشكيل الهوية الفنية للزخارف المعمارية

تعد الزخارف المعمارية الإسلامية في ليبيا انعكاساً مباشراً لتفاعل مجموعة من العوامل المتداخلة التي تشمل الجوانب السياسية، الاجتماعية، والدينية. فقد لعبت هذه العوامل دوراً محورياً في تشكيل الهوية الفنية للزخارف المعمارية، حيث تأثرت العمارة الإسلامية في ليبيا بالسياسات الحكومية، الأدوار الاجتماعية للحرفيين والجمهور، والتعاليم الدينية، خاصة تلك المرتبطة بالتصوف. في هذا المحور، سيتم تحليل كيفية تأثير هذه العوامل على تطور الزخارف المعمارية في ليبيا.

1. العوامل السياسية وتأثيرها على الزخارف المعمارية

أ. السياسات الحكومية والإدارية

- **الدعم الحكومي للبناء والتزيين** :خلال العهد العثماني وحكم الأسرة القرمانلية، كانت الحكومات المحلية تشجع على بناء المساجد والزوايا والأسواق، مما أدى إلى ازدهار العمارة الإسلامية. كان هذا الدعم يشمل توفير الموارد المالية وتوظيف الحرفيين المهرة، مما ساهم في تطوير الزخارف المعمارية (الدوماني، 2013).
- **التأثير العثماني** :جلب العثمانيون معهم تقنيات بناء وزخرفة متقدمة، مثل استخدام البلاط المزخرف (القيشاني) والزخارف الهندسية المعقدة. انعكس هذا التأثير بشكل واضح في مساجد طرابلس، مثل مسجد أحمد باشا القرمانلي، حيث تظهر الزخارف الهندسية والنباتية بأسلوب عثماني مميز (الكيلاني وآخرون، 2021).

ب. الاستقرار السياسي

- **فترات الاستقرار** :خلال فترات الاستقرار السياسي، مثل حكم الأسرة القرمانلية (1711–1835)، شهدت ليبيا ازدهاراً في النشاط العمراني، مما أدى إلى بناء العديد من المساجد والزوايا المزينة بزخارف متقنة.
- **فترات الاضطراب** :في المقابل، خلال فترات الاضطراب السياسي، تراجع النشاط العمراني، مما أثر على جودة وتنوع الزخارف المعمارية (انويجي، 2018).

2. العوامل الاجتماعية وتأثيرها على الزخارف المعمارية

أ. دور الحرفيين

- **الحرفيون المحليون** :لعب الحرفيون المحليون دوراً كبيراً في تشكيل الزخارف المعمارية، حيث كانوا يمزجون بين الأنماط العثمانية والتأثيرات المحلية. على سبيل المثال، في غدامس، تظهر الزخارف بأسلوب بسيط يعكس البيئة الصحراوية (مرزوق، 2016).
- **التقنيات التقليدية** :استخدم الحرفيون تقنيات تقليدية مثل نحت الحجر وتشكيل الجبس، مما أضفى طابعاً فريداً على الزخارف.

ب. الجمهور ودوره في تشكيل الزخارف

- **الطلب على الزخارف** :كان الجمهور يلعب دوراً غير مباشر في تشكيل الزخارف من خلال الطلب على أنماط معينة تعكس هويتهم الثقافية والدينية. على سبيل المثال، كانت الزخارف النباتية والخطية تستخدم بشكل واسع في المساجد والزوايا لتلبية احتياجات الجمهور الروحية والجمالية (ميسانا، 1998).
- **التفاعل مع البيئة** :تأثرت الزخارف بالبيئة المحلية، حيث استخدمت مواد محلية مثل الحجر الجيري في طرابلس والحجر الرملي في غدامس.

3. العوامل الدينية وتأثيرها على الزخارف المعمارية

أ. تعاليم الإسلام

- **الرمزية الدينية** :تعكس الزخارف الإسلامية القيم الدينية مثل التوحيد والتناغم. على سبيل المثال، تستخدم الزخارف الهندسية لتجسيد مفهوم الوحدة في التنوع، بينما تستخدم الزخارف النباتية كرمز للجنة (خبيزي، 2023).
- **الآيات القرآنية** :تعد الزخارف الخطية التي تحمل آيات قرآنية من أبرز العناصر الزخرفية في العمارة الإسلامية، حيث تستخدم لتزيين المحاريب والجدران.

ب. تأثير التصوف

- **الزوايا الصوفية** :لعبت الزوايا الصوفية دوراً كبيراً في تشكيل الزخارف المعمارية، حيث كانت تزين بزخارف تعكس الطابع الروحي للتصوف. على سبيل المثال، في زاوية عبد السلام الأسمر، تستخدم الزخارف الهندسية والنباتية بأسلوب يعكس القيم الصوفية مثل التأمل والتناغم (كامل، 2003).
- **الرموز الصوفية** :تظهر بعض الرموز الصوفية في الزخارف، مثل الأنماط الدائرية التي ترمز إلى الكمال الروحي.

4. التفاعل بين العوامل المختلفة

- **التكامل بين السياسة والدين** :خلال العهد العثماني، كان هناك تكامل بين السياسات الحكومية والتعاليم الدينية، حيث دعمت الحكومات بناء المساجد والزوايا التي تعكس القيم الإسلامية.
- **التأثير الاجتماعي والديني** :تأثرت الزخارف بالثقافة المحلية والتعاليم الدينية، مما أدى إلى ظهور أنماط زخرفية تعكس الهوية الثقافية والدينية للمجتمع الليبي.
- **التأثير البيئي** :لعبت البيئة المحلية دوراً في تشكيل الزخارف، حيث استخدمت مواد محلية وتقنيات تتناسب مع الظروف المناخية.

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

أسفر تحليل التطور الفني للزخارف المعمارية في واجهات المباني الإسلامية بليبيا، خلال العهد العثماني وصولاً إلى بدايات القرن العشرين، عن عدد من النتائج الرئيسة:

1. تميز العمارة العثمانية في ليبيا بخصوصية محلية: رغم ارتباط الطراز المعماري بالسلطنة العثمانية في مجمل خصائصه، إلا أن المدارس المحلية في طرابلس وغدامس أسهمت في تشكيل هوية زخرفية ليبية مميزة، تظهر بوضوح في الخطوط الهندسية، والإفريزات الجصية، والتكوينات النباتية ذات الصياغة المبسطة.

2. تنوع تقنيات التزيين وموادها: أظهرت الدراسة اعتماد البنائين على الجص المنقوش، والحجر الجيري المحلي، والخشب المحفور، مع استمرار تقنيات محلية قديمة سبق العهد العثماني، اندمجت مع التأثيرات الوافدة في إطار فني متجانس.

3. تأثير التحولات السياسية على زخارف الواجهات :شهدت الزخارف تطوراً خلال ثلاث مراحل بدايةً من مرحلة الفتح العثماني (1551م) وما أحدثه من استقدام حرفيين وأنماط فنية جديدة. ومرحلة حكم الأسرة القرمانلية (1711–1835م) التي تميزت بازدهار عمراني نسبي وتزايد زخرفة الواجهات.ومرحلة العودة العثمانية المباشرة (1835–1911م) التي شهدت إدخال عناصر زخرفية أكثر بساطة نتيجة الظروف الاقتصادية والسياسية.

4. اختلاف الطابع الزخرفي بين طرابلس وغدامس : يتضح أن طرابلس بوصفها ميناءً عثمانياً مهماً تأثرت أكثر بالزخارف الوافدة من إسطنبول وتونس والجزائر، بينما احتفظت غدامس بطابع زخرفي صحراوي خاص، يعتمد على التكثيف الجصي والأشكال الهندسية ذات الخطوط الحادة.

5. أهمية الأبعاد الاجتماعية والدينية : تبين أن الزخارف لم تكن مجرد عنصر جمالي، بل حملت دلالات اجتماعية ودينية، مثل استخدام الرموز النباتية كإشارة للخصوبة والحياة، وتوظيف الخط العربي في بعض المباني الرسمية للدلالة على السلطة والمكانة.

ثانياً: التوصيات

استناداً إلى النتائج المتوصل إليها، تقترح الدراسة جملة من التوصيات:

1. إجراء مسح معماري شامل للواجهات التاريخية : توصي الدراسة بتنفيذ مشروع وطني لتوثيق واجهات المباني الإسلامية في طرابلس وغدامس وبقية المدن الليبية، باستخدام التقنيات الحديثة مثل المسح الرقمي والتصوير ثلاثي الأبعاد.

2. إنشاء قاعدة بيانات وطنية للزخارف المعمارية الليبية : من المهم تأسيس قاعدة بيانات رقمية تضم صوراً وتحليلات وصفية وتاريخية للزخارف، لتسهيل الاستفادة منها في الدراسات المستقبلية وحماية التراث.

3. دعم مشاريع الصيانة والترميم : تشجيع وزارة الثقافة مصلحة الآثار على اعتماد برامج ترميم متخصصة، تراعي الخصائص الفنية للزخارف، مع تدريب الكوادر المحلية على أساليب الحرفيين العثمانيين والقرمانليين.

4. توسيع نطاق الدراسات المقارنة :تحفز الدراسة الباحثين على مقارنة الزخارف الليبية بنظيراتها في تونس والجزائر وتركيا، لفهم أثر التفاعل الثقافي المتوسطي في تشكيل الهوية الزخرفية المحلية.

5. دمج الزخارف في الهوية المعمارية المعاصرة : تشجيع المعماريين الليبيين على الاستلهام من التراث الزخرفي التاريخي في تصميم المباني الحديثة، بما يسهم في تعزيز الهوية البصرية الوطنية.

المراجع

1. ابلاعو، أميرة محمد خليفة. (2019). *الفن الزخرفي الإسلامي أثناء الحكم العثماني بطرابلس، ليبيا: دراسة عن أبعاده التربوية والتعليمية* (أطروحة دكتوراه غير منشورة). أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة مالايا.
2. ابن نافع، حنان محمد علي. (2007). *العناصر الزخرفية المعمارية بمدينة طرابلس خلال العهد العثماني (1551 – 1911م): دراسة نموذجية* (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة المرقب.
3. الأميري، رياض. (2000، مارس 23). نظرات تاريخية وهندسية في فنون البناء والعمارة الليبية: مدينة طرابلس التاريخية. *الميراث: مدونة مستقبل العمارة والحرف الفنية في ليبيا*. تم الاسترجاع من [https://mirathlibya.blogspot.com/2025/04/blog- %D9%8A%D9%88%D9%86]
4. أمين، أحمد محمود. (2023). سمات عمارة البيوت التقليدية بواحة غدامس الليبية في العصر العثماني. *مجلة آثار*، 3(1)، 43–77.
5. انويجي، إبراهيم سالم. (2018). العوامل المؤثرة في معمار طرابلس القديمة. *مجلة العلوم الإنسانية*، 30(1)، 285–311.
6. بشينة، محمد عمر.، وكريم، عادل عمر. (2023). الزوايا العلمية الدينية في ليبيا، نشأتها ودورها "زاوية الجغبوب، زاوية البيضاء، زاوية عبد السلام الأسمر، زاوية الطواهرية. أنموذجاً". *مجلة أصول الدين*، 7(1)، 64–80.
7. البلوشي، علي مسعود. (2007). *تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي 1551–1911*. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.: ليبيا.

8. بن جمعة، نادر مصطفى سالم. (2023). جماليات العمارة والتصميم في العهد القرمانلي وكيفية توظيفها في العمارة الحديثة. *مجلة دراسات الإنسان والمجتمع*، 22(3)، 1–21.

9. بهنس، صلاح ، وحامد، سعيد علي. (1989). مساجد مدينة غدامس. حرره سعيد علي حامد، صالح ونيس، أشرف محمود، صلاح بهنس، احمد سعيد عبد الرحمن، وزياد حجازي، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، الجزء الثاني .منشورات مصلحة الآثار وجمعية الدعوة الإسلامية.

10. التير، زهرة أحمد محمد. (2024). تجارة القوافل في مدينة غدامس في العهد العثماني الثاني (1835–1911م). *مجلة الجامعة الأسمرية*، 37، 495–532.

11. حواس، سؤدد مشعان. (2019). الرمز في الزخارف النباتية للعمارة الإسلامية. *مجلة كلية التربية الأساسية*، 25(104)، 711–742.

12. خبيزي، محمد. (2021). جمالية بعض الزخارف الرمزية ومدلولاتها في العمارة الإسلامية. *مجلة العلوم الإسلامية والحضارة*، 6(2)، 269–282.

13. الدوماني، علي. (2013). العمارة الدينية وتطورها في ليبيا أثناء العهد العثماني (1551 . 1711 م) دراسة تاريخية أثرية. *المجلة الدولية للتنمية*، 2(1)، 85–92 .

14. ربعي، رمزي. (2022). *طرابلس الغرب خلال العهد العهد العثماني الأول (1551 م – 1711 م).* (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة محمد الشريف مساعدية، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية.

15. الزروق، سالم عون (2020). دراسة في الزخارف المعمارية التقليدية: أشكالها ودلالاتها في بعض مناطق ليبيا. *مجلة القرطاس*، (10)، 1–30.

16. زروقي، مصطفى. (2025). التحرير العثماني لطرابلس الغرب من سيطرة وتسلط فرسان مالطا 1530–1551م. *رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية*، 6(2)، 53–69.

17. سليمان، المبروك محمود صالح، والنويجي، إبراهيم سالم منصور. (2024). عمارة وزخرفة زاوية محمد بن علي السنوسي بواحة الجغبوب. *مجلة آفاق للدراسات الإنسانية والتعليمية*، 2(2)، 94–124.

18. سميو، علي محمد. (2023). الجذور التاريخية لنشأة المساجد في إقليمي برقة وطرابلس من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة. *مجلة شروس – المؤتمر العلمي الدولي حول تراث غدامس الثالث، الدورة الثالثة*، 69–90.

19. عبد الدايم، نادر محمود. (2022). التوافق في التصميمات الزخرفية النباتية والهندسية بين العمارة والتحف الثابتة بها (الأخشاب والمعادن) في الطراز الإسلامي المبكر. *مجلة مركز الدراسات البردية*، 39(1)، 933–986.

20. عماري، سهام ميلاد. (2022). العمارة الإسلامية بمدينة زليتن (مسجد وزاوية عبد السلام الأسمر– مسجد وزاوية أحمد الباز أنموذجاً). *مجلة العلوم الإنسانية*، 37، 359–371.

21. الفار، عادل المبروك المختار. (2024). عمارة الزوايا الدينية بمدينة طرابلس القديمة: النشأة – الأدوار – التكوين المعماري. *مجلة دلالات*، (12)، 232–249.

22. الفضالي، عبد العزيز عبد الفتاح. (2014). الأعمال المعمارية للأسرة القرمانلية في ليبيا (1123 – 1251هـ / 1711 – 1835م). *دورية كان التاريخية: المستقبل الرقمي للدراسات التاريخية*، 7(25)، 162–180.

23. كامل، عبد الله. (2003). الزوايا في العمارة الدينية الليبية خلال العصر العثماني: دراسة حضارية أثرية. *مجلة دراسات في آثار الوطن العربي*، 10، 823–868.

24. الكيلاني، صالح عبد السلام، الزني، سارة مفتاح عبد السميع، وسالم، فدوى خليل. (2021). القيم الجمالية للبلاطات الخزفية (القاشاني) بمساجد العهد العثماني في ليبيا: دراسة تحليلية لمسجدي أحمد باشا القره مانلي ومصطفى قرجي. *مجلة الجامعي*، (34)، 355-373.

25. المبروك، عادل حسين، ومادي، الفيتوري عمر. (2009). التراث المحلي وتأثيره على التشكيل المعماري في مدينة طرابلس القديمة، *في أعمال ندوات: الاتجاهات المعاصرة في إدارة التراث الثقافي* .القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 105-143.

26. مرزوق، عاطف علي عبد الرحيم. (2016). زخارف المنازل بمدينة غدامس القديمة في ليبيا. *مجلة كلية الآداب*، 40(1)، 391-417.

27. ميسانا، غاسبري. (1998). المعمار الإسلامي في ليبيا (مترجم : علي الصادق حسنين)، منشورات دار الرواد.